دوريات
PERIODICALS

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الرابع والاربعين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩١٤ — الموافق ٤ صفر سنة ١٣٣٢

كيف تصدق الاحلام

لقد كان خطبة السر اوليفر لدج رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني وقع عظيم في نفوس الذين سمعوها والذين طالعوها وكثير الموَّيدون لها والمنتقدون عليها ولا سيما قولهُ « ان العلوم الطبيعية ليست محدودة في مدارها كما يظن البعض ويمكن التوسع فيها والوصول بها الى العالم الروحي واكتشاف ثواميسهِ . دعونا نحاول ذلك . اهقونا واهلونا . دعوا الذين يفضلون البحث المادي يجروا في مباحثهم على ما يريدون ولكن لا تمنعونا من البحث في العالم الروحي ولننتظر لمن يكون الفوز اخيراً . اساليبنا في البحث مثل اساليبهم ولو اختلفت مواضيعنا عن مواضيعهم فلينصف كلٌّ منا الآخر ولا يحتقرهُ »

وقلما تقع الآن يدنا على مجلة من المجلات الكبيرة الأوترى فيها مقالة او اكثر في المواضيع التي اشار اليها السر اوليفر لدج ومن ذلك مقالة موضوعها « غوامض النوم » للكاتب الانكليزي المشهور المستر وليم الي سكرتير الاتحاد الكاثوليكي في بريطانيا العظمى نشرت في العدد الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية وكأنهُ ذهب فيها المذهب القديم القائل ان نفس الانسان تخرج من جسدهِ وهو نائم فتطلع على امور تعجز عن الاطلاع عليها في يقظتهِ وتنبئ بالمستقبلات كأنها من الحوادث الماضية وذكر تأييداً لذلك مئة احلام قال انها نقلت بسند صحيح وفي هذه

﴿ الحلم الاول ﴾ كتبهُ السرجون درمند هاي الذي كان قنصلاً جنرالاً لبريطانيا العظمى في المغرب الاقصى (مراكش) وبعث بهِ الى الاستاذ ميرس فنشرهُ في كتابهِ الذاتية الانسانية Human Personality قال فيهِ

« كان ابني روبرت درمند هاي سنة ١٨٧٩ مقيماً في السُّوَيراء هو واهل بيته حيث كان قنصلاً لدولته وكنت انعم انا على تمام الصحة . وذات يوم من شهر فبراير وقد نسيت الآن اي يوم هو من الشهر في الساعة الاولى بعد نصف الليل سمعت صوت كنتي امرأته وكانت معهُ في السُّوَيراء تقول بنغمة المتحسِّر المستغيث اوادُلوف سمع حمي تعرض ابنهِ . وكنت نائماً بملء عيني فاستيقظت حالاً وكان في غرفتي مصباح صغير فجلست والتفت الى ما حولي فلم ارَ احداً غير زوجتي وكانت نائمة في سريرها . فاصغيت بفمع ثوان منتظراً ان اسمع صوت احد ماشياً خارج الغرفة ولكنني لم اسمع صوتاً بل كان السكوت تاماً فاستلقيت وانا اشكر الله حاسباً ان الصوت الذي سمعتهُ انما هو من اضغاث الاحلام . ولكن لم اكد اغمض عيني حتى سمعت ذلك الصوت ثانيةً فايقظت زوجتي واخبرتها بما سمعت وقمت الى مكتبي وكان الى جانب غرفة النوم وكتبت ذلك في يوميتي . وفي الصباح قصصت ما سمعت على ابنتي وقلت لها انني لا اصدق الاحلام ولكنني اشعر الآن بقلق شديد وانتظار بفارغ الصبر ورود البريد من السُّوَيراء . والسُّوَيراء على ٣٠٠ ميل من طنجة حيث كنت . وبعد بضعة ايام جاء كتاب من كنتي تخبرنا بهِ ان ابني كان مريضاً جداً بالتيفويد وذكرت ليلة اصابهُ فيها الهذيان فكانت الليلة التي سمعت فيها صوتها . وكتبت اليها حينئذٍ اخبرها بحلمي فاجابتني مع البريد التالي انهُ لما اشتدَّ قلقها على زوجها وهي غريبة في تلك البلاد نطقت بالالفاظ التي ايقظتني من نومي » . ثم قال مخاطباً الاستاذ ميرس « وقد ترغب في ان ترى تأييداً لهذا الخبر من الذين ذكرتهم فيهِ فقد وقعوا عليهِ مؤيدين صحتهُ كما ترى . ولما استعفيت من منصبي سنة ١٨٨٦ اتلفت كثيراً من يومياتي وبينها يومية سنة ١٨٧٩ ولولا ذلك لاستطعت ان اذكر اليوم الذي سمعت فيهِ الصوت بالضبط التام ولارسلت اليك الورقة التي كتبت فيها ما كتبت »

ويلي ذلك توقيعهُ وتوقيع زوجتهِ وابنتهِ وكنتهِ

﴿ الحلم الثاني ﴾ نشرهُ الاستاذ ميرس وقد كتب بهِ اليهِ القانون وربرتن وهذه خلاصتهُ

« ذهبت من اكسفرد نحو سنة ١٨٤٨ الى لندن لاقيم مع اخي اكتون يوماً او يومين فلما وصلت الى منزلهِ وجدت على مكتبهِ ورقة يعتذر بها عن غيابهِ ويقول انهُ دُعي الى ليلة راقصة وسيعود منها بعد نصف الليل بساعة فلم اشأ ان اخلع ثيابي وانام بل جلست في كرسي كبير منتظراً رجوعهُ . وان الكرى على عيني فنعست ونمت ولكنني استيقظت عند الساعة الثامنة تماماً وانا اقول بالله لقد وقع . فاني رأيت اخي خارجاً من غرفة استقبال الى دار ساطعة

النور وقد علقت رجلهُ بدرجة من درج السلم فسقط واستلقى الارض بشراعيهِ ولم أكن اعرف البيت الذي كان فيهِ ولا اعرف اين هو فلم اعبأ بما خُيِّل لي بل أغفوتُ ثانيةً نحو نصف ساعة ثم استيقظت بصوتهِ وقد دخل وهو يقول «هل انت هنا لقد وقعتُ وكدت ادق عنقي فاني كنت خارجاً من غرفة الرقص فعلقت رجلي ووقعتُ على السلَّم . هذا كل ما حدث وقد يكون حلمًا ولكنني ظننتهُ دائمًا اكثر من حلم »

﴿ الحلم الثالث ﴾ كان البابا بسكال الاول يبحث عن جسد الشهيدة سيسيليا التي استشهدت في عهد البابا اربانوس الاول في اوائل القرن الثالث المسيحي ولما اعياهُ البحث ولم يجد جسدها تولاهُ القنوط حاسبًا ان اللمبردين الذين غزوا البلاد اخذوهُ مع ما غنموهُ لان سرقة آثار الشهداء كانت شائعة في ذلك العصر وان الكرى على اجفانهِ ذات يوم من شدة التعب فرأى في نومهِ عذراء جميلة المذار بثياب فاخرة قالت لهُ انها هي سيسيليا ولا تمتهُ لانهُ يئس من وجود جسدها ثم اخبرتهُ ان اللمبردين حاولوا سرقتهُ وفتشوا عنهُ فلم يجدوهُ واكدت لهُ انهُ اذا واظب على البحث وجدهُ . ففعل وكان كما قالت لهُ فانهُ وجدهُ في مدافن كاليكس ونقلهُ الى كنيستها وكان ذلك سنة ٨٠٢ للميلاد

﴿ الحلم الرابع ﴾ كتبت زوجة الاستاذ لويس اغاسز الطبيعي المشهور في تاريخ حياتها بعد وفاتهِ تقول ما خلاصتهُ انهُ رأى آثار سمكة متحجرة في قطعة من الصخر وكانت الآثار ناقصة فتعذر عليهِ تحقيق نوعها وبذل جهدهُ لكي يعرف نوعها ولما اعيتهُ الحيل اهملها وكأنهُ يئس من الوصول الى ضالتهِ وحاول ان يصرفها عن ذهنهِ لكنهُ حلم ذات ليلة انهُ رأى تلك الآثار وكل الاجزاء الناقصة منها فتمَّ بها شكل السمكة فاسرع في الصباح الى معرض المتحجرات ونظر الى آثار السمكة لعلهُ يتصوَّر شكلها كما رآهُ في نومهِ فلم يستطع . ثم رأى صورتها في الليلة التالية ولكنهُ نسيها في الصباح التالي كما نسيها اولاً . وفي الليلة الثالثة وضع قلماً وقرطاساً الى جانب وسادتهِ ونام وقبل الفجر حلم بالسمكة ورأى صورتها واضحة فنهض حالاً ورسمها على القرطاس ولما اصبح الصباح ذهب بالصورة التي رسمها في نومهِ الى معرض المتحجرات وقابل بين الصورة والاثر فوجد ان جانبًا منهُ لا يزال مغطًى بشيء من الحجر فنزعهُ بالازميل واذا الرسم كلهُ مثل الصورة التي رآها في نومهِ

﴿ الحلم الخامس ﴾ حلمهُ المستر هفرد فنصل الانكليز في تريستا وكتب بهِ الى الاستاذ ميرس في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٩٣ وقد قال فيهِ ما خلاصتهُ حلمت ان قنصل المانيا الجنرال دعاني الى العشاء في بيتهِ فادخلني الى غرفة كبيرة فيها اسلحة من شرق افريقية رأيت بينها سيفًا

كبيراً محلّى بالذهب فقلت لقنصل فرنسا وكان مدعوّاً للعشاء ايضاً اني اظن هذا السيف هدية من سلطان زنجبار ودخل قنصل روسيا حينئذٍ وقال ان قبضة السيف مغيرة في جنب نصلهِ ولما قال ذلك لاح بيدهِ فوق رأسهِ كمن امتلّ سيفاً واراد الضرب بهِ . وحينئذٍ استيقظت من نومي واخبرت زوجتي بحلمي . وبعد ستة اسابيع دعانا قنصل المانيا الجنرال للعشاء ودخلنا غرفة استقبال لم ادخلها من قبل ولكنني وجدت كأني كنت اعرفها وعلى حائطها اسلحة من شرق افريقية وبينها سيف محلّى بالذهب وهو هدية من سلطان زنجبار . وحدثت حينئذٍ كل ما رأيتهُ في حلمي ولكنني لم اتذكر الحلم الاّ حينما جعل قنصل روسيا يلوح بيدهِ فوق رأسهِ فتذكرت الحلم حينئذٍ كما هو واسرعت الى زوجتي وكانت واقفة في غرفة اخرى متصلة بغرفة الاستقبال وقلت لها اتذكرين حلمي عن اسلحة زنجبار فقالت نعم وشهدت امام الحضور بما قصصتهُ عليها لما حلمتُ الحلم فاستغربوا ذلك جدّاً . وقد شهد قنصل روسيا في تريستا بصحة ذلك

﴿ الحلم السادس ﴾ او الرؤيا السادسة رآها القديس القس ليغوري لما كان مطراناً لسنت اغاثا في ٢١ سبتمبر سنة ١٧٧٤ ذلك انهُ بعد ان اتمّ القداس في صباح ذلك اليوم اصابتهُ غيبوبة وبقي غائباً الى صباح اليوم التالي فافاق حينئذٍ وقال انهُ كان مع البابا (اكليمندس الرابع عشر) وان البابا توفي حينئذٍ . وبعد مدة وجيزة وردت الاخبار بان البابا توفي في الثاني والعشرين من سبتمبر الساعة السابعة صباحاً وفي الدقيقة التي استيقظ فيها المطران القس تماماً . انتهى ما اوردهُ المستر لي

واكثر الذين يصدقون الاحلام يقولون انها من افعال « التلبثي » اي من تأثير عقل في عقل آخر او انتقال التأثير من عقل مَن يُحلم بهِ الى عقل الحالم كانتقال الكهربائية من آلة الى آلة او كانتقال الصوت من مصدرهِ الى اذن من يسمعهُ . لكن العقول عديدة كاصحابها واذا كانت القوة العقلية تصدر منها وجب ان تكون القوى الصادرة منها كلها في كل لحظة ملايين الملايين عدّاً . اما الاحلام التي يقال انها تصدق فليست شيئاً مذكوراً في جنب الاحلام التي لا تصدق مع انها كلها جارية على نسق واحد ويلزم ان تكون ناتجة عن انتقال التأثير من عقل الى عقل آخر . فاذا حلمتُ اليوم ان زيداً وقع وكسر رجلهُ وحلمتُ غداً ان عمراً كسر يدهُ وبعد غد ان خالداً جرح اصبعهُ ولم يصدق من هذه الاحلام الاّ الاخير فكيف نعلل كذب الحلم الاول والحلم الثاني اذا كانت الاحلام ناتجة عن انتقال التأثير من عقل مَن نحلم بهِ الى عقلنا ولماذا لا تكون الاحلام كلها صحيحة على حدٍّ سوى كاصوات المسموعات وصور المرئيات .

فتعليل صحة الاحلام بانتقال التأثير العقلي لا يؤخذ به في محكمة من محاكم القضاء ولا في عمل من اعمال الناس

اذا جاء احد بدواء وقال انهُ يشفي من الطاعون فسقينا منهُ مئة مطعون فشفي منهم مطعون واحد فقط ومات التسعة والتسعون حكمنا ان هذا الدواء لا يشفي من الطاعون وان الذي شفي لم يشفَ بهِ بل شفي لسبب آخر إما لأن اصابتهُ كانت خفيفة او لانهُ استعمل علاجاً آخر غير الدواء المشار اليهِ

ثم ان التأثير العقلي الواحد اذا صحَّ وجودهُ وجب ان يفعل بالوف والوف الالوف من العقول في وقت واحد لان الناس كلهم معرضون لهُ على حدٍ سوى . فاذا امكن ان يصل فعلهُ من مدينة في استراليا الى مدينة في بلاد الانكليز كما في بعض الاحلام التي يقال انها صدقت وجب ان يؤثر في ملايين من العقول في البلدان التي بين هاتين المدينتين كما ان صوت الخطيب الذي يسمعهُ رجل في آخر غرفة فسيحة يسمعهُ كل احد في تلك الغرفة . وكما ان الاشارات الكهربائية اللاسلكية الصادرة من سفينة في عرض البحر تشعر بها الآلات الكهربائية اللاسلكية التي في كل السفن حولها الى ابعاد شاسعة

واذا علمنا الاحلام التي تنبئ بالحوادث حين حدوثها بانتقال التأثير من مكان الى آخر فكيف نعلل الاحلام التي تنبئ بحوادث ستحدث في المستقبل فان هذه ليس فيها تأثير ينتقل الى عقل الحالم لان الحلم بها وقع قبل حدوثها كما في حلم فنصل الانكليز بتر يستا المذكور آنفاً

تُرى لو قتل زيد ولم يعرف قاتلهُ وشهد شاهد في مجلس القضاء انهُ حلم في اليوم الذي قتل فيهِ زيد ان عمراً قام عليهِ وقتلهُ . اكان القضاة شهادتهُ ويحكمون على عمرو بالقتل . كذلك لو حلم تاجر انهُ اشترى الف سهم من اسهم البنك الاهلي وكان سعر السهم منها لما اشتراها خمسة عشر جنيهاً فارتفع في اسبوعين وصار سبعة عشر جنيهاً أكان يثق بحلمهِ ويعمل بهِ . واذا حلم اشد التجار تديناً ان قديساً من اكبر القديسين ظهر لهُ في نومهِ وقال لهُ ان ثمن القنطار من القطن المصري سيرتفع من تسعة عشر ريالاً الى اثنين وعشرين فاشترى عشرة آلاف قنطار الآن على سبيل التجارة لا المضاربة ثم بعها وقتما يرتفع السعر وابنِ بما تكسبهُ مدرسة او ملجأ للأيتام أكان يفعل ذلك

ورب قائل يقول ان كان الامر كذلك وكانت الاحلام اضغاثاً لا يعتدُّ بها فكيف تفسرون ما يصحُّ منها . والجواب ان بعض ما يصح تكون صحتهُ من قبيل الاتفاق لا غير

وهذا نادر جداً والغالب ان لا تأتي الحادثة كما رأيت في الحلم تماماً ولكن صاحب الحلم يتساهل في التطبيق فيقرب المتشابهات ويتمسك بها ويغضي عما سواها

وبعضها يكون من قبيل الاستنتاج العقلي كحكم الاستاذ الماهر المشار اليه آنفاً فانهُ كان يحتمل ان يصل الى هذا الاستنتاج وهو مستيقظ اذا كان دماغهُ مستريحاً كما وصل اليهِ وهو نائم . وبعضها من المحفوظات في خزائن الدماغ التي يساها المرء وهو مستيقظ كثير الاشغال ثم يتذكرها بعد ان ينام ويستريح دماغهُ فيحزم بها وهو يحسب انهُ لم يكن يعرفها من قبل . ويحتمل أن يكون بعضها من قبيل الالهام والعلماء يبحثون الآن عن الادلة العلمية التي تؤيد ذلك

ثم ان الدماغ قسمان متشابهان تماماً قسم ايمن وقسم ايسر وتصل اليهما المعلومات بواسطة المشاعر على اسلوب واحد ولكن الانسان قلما يستعمل غير الجانب الايسر من دماغهِ فاذا كان هذا الجانب مشتغلاً بالتفكير في موضوع وجاءت المؤثرات الى الدماغ فالغالب انها تطبع في الجانب الايمن منهُ لا في الجانب الايسر فتحفظ فيهِ محفوظات كثيرة لا يعلمها واذا سألتهُ عنها انكرها لانهُ قلما يستعمل غير الجانب الايسر من دماغهِ . ولا يبعد ان يزيد ورود الدم الى الجانب الايمن من دماغهِ بسبب الوضع الذي يكون نائماً بهِ فينتبه الى محفوظات كثيرة يدركها العقل حينئذٍ ويحسب انها انباء جديدة لم يكن لهُ اطلاع عليها من قبل

ومن الناس من يرى شيئاً لم يرهُ من قبل فتنطبع صورتهُ في ذهنهِ حالاً ويلتفت اليها عقلهُ فيتوهم انهُ رأى ذلك الشيء قبلاً . ومنهم من اذا رأى حادثة من الحوادث حسب انهُ حلم بها قبل حدوثها واخبر غيرهُ بحلمهِ وقد يكون من اصدق الناس ولكنهُ يتوهم انهُ رأى ما لم يرهُ وانهُ قال ما لم يقلهُ وانهُ فعل ما لم يفعلهُ . واي رجل اصدق قولاً واشرف نفساً من المرحوم المستر ستد منشىء مجلة المجلات الانكليزية لكنهُ كان مع ذلك يصدق ما لا يصدق ويدعي انهُ فعل ما لم يفعل

كتب سنة ١٩٠٩ مقالة مسهبة في مجلة الفورتنيتلي الانكليزية موضوعها « هل يبعث الاموات » ذكر فيها انهُ صُوِّر مرةً صورة فوتوغرافية فظهرت معها صورة رجل من قواد البويريين قتلوا وكان المصور لهُ من الذين يدَّعون تصوير الارواح . قال زرت هذا المصور ولم اكد اجلس حتى قال لي «لقد حدث بالامس ما ازعجني فان رجلاً من شيوخ البويريين دخل غرفتي هذه بسدقيتهِ فخفت منهُ وقلت لهُ اليك عني فاني أكره البنادق فمضى وها قد جاء الآن ودخل معك ولكنهُ لم يأتِ ببندقيتهِ ولا تظهر عليهِ امارات الشراسة كما ظهرت بالامس فهل تسمح لهُ بالبقاء » اراد المصور ان روح هذا الرجل دخلت مع المستر ستد

فقال ستد انهُ نعم ولا داعي لصرفهِ هل تستطيع تصويرهُ فقال « قد استطيع وساجرب »

فجلس المستر ستد امام آلة التصوير وطلب من المصور ان يسأل الروح عن اسمهِ فوقف المصور هنيهة كأنهُ يتنصت ثم قال اني اسمعهُ يقول ان اسمهُ بيت بوثا

قال المستر ستد في مقالتهِ « واظهر المصور الصورة الفوتوغرافية حسب العادة فرأيت فيها ورائي صورة رجل طويل القامة مجدول العضل مثل البوير او الموجيك فلم اقل شيئاً بل انتظرت الى ان انتهت الحرب وجاء الجنرال بوثا الى لندن فارسلت اليهِ تلك الصورة مع المستر فشر الذي كان رئيس النظار في ولاية اوريج الحرة » . ونتج عن ذلك ان زار المستر ستد رجل اسمهُ وسلس واخبرهُ ان الصورة هي صورة رجل من اقاربهِ اسمهُ بطرس بوثا وهو اول قائد بوري قتل في حصار كمبرلي وانهم يدعونهُ عادةً بيت بوثا

ثم قال المستر ستد في مقالتهِ «ولا تزال الصورة عندي وقد رآها بعد ذلك اثنان من اهالي اورنج واكدا لي انها صورة بيت بوثا . فهذه حادثة لا محل لتلبثي فيها ولا للغش فان طلبي من المصور ان يسأل الروح عن اسمهِ كان من قبيل العرَض وقد بحثت وحققتُ فلم اجد احداً في بلاد الانكليز يعلم انهُ وُجد انسان اسمهُ بيت بوثا »

قال الدكتور تكت في تعقيبهِ على مقالة ستد ان جريدة الغرافك الصادرة في ٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩ نشرت صورة بطرس بوثا وكتبت تحتها تقول «هذه صورة الكومندان بوثا الذي قُتل قرب كمبرلي وهو من قواد البوير وقد قُتل في محاربتهِ لجنود الكولونل ككوتش عند خروجهِ من كمبرلي »

وواضح من ذلك ان المصور نقل صورة هذا القائد على اللوح الذي صورعليهِ صورة ستد لعلمهِ ان ستد من المصدقين بتصوير الارواح وان ستد لم يبحث ولم يحقق ولو بحث لاهتدى الى جريدة الغرافك التي تصل الى مكتبهِ كل اسبوع . اما كون تصوير الارواح من الاضاليل التي لجأ اليها بعض المحتالين وكُشف امرها وفضح سترها فمما لا شبهة فيهِ الآن فقد تألفت لجنة من كبار الباحثين بطلب جريدة الديلي ميل سنة ١٩٠٩ واثبتت ان الصور الفوتوغرافية التي فيها صورة شخص معلوم وصورة روح شخص آخر من الموتى انما هي مصوَّرة مرتين لا مرةً واحدة وان المصورين لها محتالون يخدعون الناس بافعالهم وقد شرحت ذلك جريدة التيمس الصادرة في شهر يونيو سنة ١٩٠٩

وهنا يصل بنا البحث الى كيفية انخداع العلماء الصادقين والى مَن تقبل شهادتهُ في مسائل مثل هذه وسنطرق هذا الموضوع في الجزء التالي